بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وبعد ...

الخوف من الإسلام أم الخوف عليه ؟!
وذئب يرعى الغنم

ينتشر في الآونة الأخيرة (نوفمبر ٢٠١١م) حالة من الخوف لدى الناس عموماً وغير الإسلاميين خصوصاً من احتمال فوز الإسلاميين بغالبية مقاعد البرلمان، كما هو الحال في فوز حركة النهضة الإسلامية بغالبية مقاعد البرلمان في تونس، مهد الربيع العربي، وينفخ مدعو الحداثة والليبرالية في إرعاب الناس من احتمالية سيطرة الإسلاميين على مقاعد البرلمان في الانتخابات القادمة، وبالتالي سيقومون بأسلمة الدولة بكافة مؤسساتها، بما يشمله ذلك من تطبيق صارم لمباديء الشريعة الإسلامية، من قطع يد السارق، ورجم الزاني، وإغلاق البنوك الربوية، ومنع السياحة، ومنع شرب الخمور، وتهديم الكنائس، وإهدار حقوق الأقليات، أو هكذا زعموا.

ونحن معاشر الإسلاميين لا نخاف من هذه الأبواق، ولا ترهبنا هذه الدعوات الضالة، فهي كانت من قديم الأزل، وهي كذلك باقية إلى آخر الزمان، فالصراع بين الإسلام والكفر حتمي. نحن الإسلاميون لا نخاف من الكفار على الإسلام، ولا نخاف من أذناب الكفار على الإسلام، بل نخاف على الإسلام من أنفسنا نحن.

أولاً: حتمية الصراع بين الإسلام والكفر.

لقد قضى الله سبحانه وتعالى أن يستمر الصراع في هذه الحياة الدنيا بين الحق والباطل، منذ فجر الوجود الإنساني إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، تلك سنة من سنن الله تعالى في عباده،

= روى ابن أبي شيبة عن بن محيريز قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا، والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن، أهل صخر وأهل بحر، هيهات لآخر الدهر، هم أصحابكم ما كان في العيش خير].

ومنذ فجر البعثة النبوية على صاحبها أزكى الصلاة والتسليم، والأعداء الذين يتربصون بدين الله عز وجل كانوا وما يزالون يضعون الخطط ويتربصون بالحق، ويبذلون كل ما يملكون، من أجل الوقوف في وجه الحق الذي ابتعث الله عز

وجل به الرسل والأنبياء، فإن رأينا اليوم أن هنالك خططاً تتكاثر للتربص بالإسلام، وأن هنالك أمماً تلتقي للعمل على القضاء على هذا الدين فما هو بالأمر الجديد، إنها سنة ماضية في عباد الله سبحانه وتعالى، إلى أن تقوم الساعة،

ثانياً: الخوف على الإسلام ليس من الكفار بل من أنفسنا نحن

مهما رأينا هذه الظاهرة متكررة من خلال مناسبات تمر بنا أو نمر بها، مهما رأينا مظاهر الكيد للإسلام متنوعة متبدلة تحيط بنا عن يمين وشمال، فينبغي أن لا ننسى أنها سنة ربانية لا تتبدل ولا تتغير، ثم ينبغي أن نعلم أن الخوف الذي ينبغي أن تفيض به قلوبنا على الإسلام ينبغي أن يكون مصدره نحن، أما دين الله تعالى فهو قائم ظاهر، بنا أو بغيرنا، "وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم"،

فقد تكفل الله تعالى بحفظ الدين:

١-قال تعالى: "والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون".
٢-وقال: "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عباديَ الصالحون. إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين".
٣-روى مسلم في صحيحه عن ثوبان: [لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ].

فإذا كنا نخاف على دين الله ونغار عليه فليكن مبعث خوفنا على الإسلام من أنفسنا، من أخطائنا، من انحرافاتنا، وإياكم أن توجهوا الخوف إلى غير مصدره، فتنسوا أنفسكم وتتصوروا أن الخوف على الإسلام إنما هو آتٍ من تلك الخطط التي تتربص بدين الله سبحانه وتعالى، فمهما تكلم الناس عن أنواع هذه الخطط، عن الدول التي تتربص بالإسلام، عن التبشير والمبشرين، عن الوسائل المختلفة، فإياكم أن تربطوا مخاوفكم على الإسلام بتلك الجهات، إن كنتم ولابد تريدون أن تغاروا على الإسلام وتخافوا عليه فليكن خوفكم عليه من أنفسكم، من معاصيكم، من انحرافاتكم، من تبديلكم وتغييركم لدين الله سبحانه وتعالى، من عدم صدقكم مع الله عز وجل.

ثالثاً: الدليل على كون الخوف على الإسلام إنما هو من أنفسنا عليه

١-قال الله تعالى: "يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ، بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النّاصِرِينَ".

فلَمْ يخوّفْنا الله تعالى من خطط الكافرين، ولَمْ يخوّفْنا من أسلحتهم؛ ولَمْ يخوّفْنا من حرب التبشير التي يشنها الكافرون، وإنما حذرنا الله عز وجل من أن نطيع الكافرين، وإطاعتنا لهم لا تكون بمبايعتهم، وإنما تكون بالسير في الطرق التي ترضيهم،

بالانحراف عن أوامر الله عز وجل، التي قال عنها ربنا تعالى: "والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين كفروا أن تميلوا ميلاً عظيماً، يريد الله أن يخفف عنكم، وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً"، وأكدها بقوله: "بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النّاصِرِينَ".

إخوتي الكرام:

عودوا إلى أنفسكم، وتساءلوا عن حالكم، هل فعلاً في قلوبنا موالاة لله تعالى أم ما زالت الموالاة للكافرين؟ فإن رأيتم أنكم توالون الله عز وجل وتصدقون في بيعته، فاطمئنوا، اطمئنوا بالاً، لن يستطيع الكافرون أن ينالوا منكم منالاً...

قال تعالى: "بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النّاصِرِينَ، سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِما أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَمَأْواهُمُ النّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظّالِمِينَ"،

فلما تعطل الشرط تعطل المشروط، فلم يعد في قلوب الكافرين منا الرعب، لأنا أطعناهم في طريقة حياتهم،...

د حم – عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ]،

رابعاً: أمثلة على أن الخطر على الإسلام إنما هو من أنفسنا

نحن نرى أيها الإخوة أن الباطل يحدق بالحق من كل الجهات، ويبدو للناظر لأول وهلة أن خطط المبطلين تثمر وتؤتي أكلها، وأنهم الأقوى وأنهم هم الأكثر منالاً، كل هذا يتراءى للإنسان لدى النظرة الأولى، ولكن دققوا في الأمر على ضوء ما قد ذكرت لكم، وعلى ضوء ما قد بينه لنا كتاب الله عز وجل، هذا الذي تلاحظونه: من أين جاء نجاح خطط الكافرين؟ لم يأت نجاح خطط الكافرين من خطط دقيقة ماكرة كانت هي الأقوى، ولم تأت من عُدَدٍ كانت هي الأكثر، ولكنها جاءت بسبب أخطائنا نحن في أنفسنا، بل في حق مولانا وخالقنا عز وجل.

هذا الباطل الذي استشرى وهيمن بحسب الظاهر إنما كان ذلك نتيجة لانحرافاتنا، نتيجة لعدم إخلاصنا لربنا، نتيجة لعدم صدقنا في إسلامنا، نتيجة للتبديل والتغيير الذي خضنا مخاضته، ثم لم نَعُدْ منه إلى الله عز وجل قط، نتيجة للأخلاقيات الإسلامية التي ألقيناها ورائنا ظهرياً، واستبدلنا بها ما عند الآخرين من الذين نسميهم الكائدين للإسلام.

المثال الأول: التنازع فيما بيننا رغم الأمر بالاتحاد

١–قال تعالى: "وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ".

٢–وقال تعالى: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا".

٣-وفي صحيح البخاري عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (والحديث أخرجه مسلم) قَالَ: [كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ!! فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ: فَعَلُوهَا؟ أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، قال جابر: وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ].

٤-وروى الترمذي وأحمد عن الْحَارِثَ الْأَشْعَرِيّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا. قال: **وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ**، اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: ١-السَّمْعُ، ٢-وَالطَّاعَةُ، ٣-وَالْجِهَادُ، ٤-وَالْهِجْرَةُ، ٥-وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ: الْمُسْلِمِينَ، الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ].

فماذا كان موقفنا؟

أمرنا الله أن نتحد، فخالفنا أمره وتنازعنا، و لم يكن ثمة من يجبرنا على هذا التنازع،

تنازعنا لأن أهواءنا هي التي قادتنا إلى ذلك،

تنازعنا لأن رغباتنا الدنيوية هي التي قادتنا إلى هذا،

وجد التنازع بين قادة المسلمين أولاً ثم سرى إلى شعوبهم ثانياً،

فقد أعرض القادة عن أمر الله عز وجل، وانحطوا في التفرق وأسبابه، بل وتنادوا إلى القوميات والعروبة والشعوبيات لا إلى الإسلام، وهي دعوة لا شك منتنة، لم تجمع العرب في جاهليتهم القديمة، ولن تجمعهم في جاهليتهم الجديدة.

المثال الثاني: تقليد الكافرين في التكالب على شهوات الدنيا رغم التحذير من ذلك

ألا ترى أن الله عز وجل نبهنا إلى أن لا نغتر بمتاع الدنيا وأن لا نبيع الباقي بالفاني، وأن لا نؤثر العاجلة على الباقية الآجلة، وحذرنا ثم حذرنا من أن نقع في هذا البلاء القاتل في كتابه:

١-قال تعالى: "قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً"،

٢-وقال تعالى: "لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ ، مَتاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهادُ}.

فماذا كان موقفنا بعد كل هذا التحذير من كتاب الله عز وجل؟

سال لعابنا على الدنيا بكل مظاهرها وزخارفها وأهوائها، واتجهت أبصارنا وبصائرنا إلى هذه الزخارف عند هؤلاء الذين نخشى على إسلامنا منهم، بل واتجهنا إليهم بمطامعنا واتخذنا من تعشقهم للدنيا وأهوائها أئمة، بل إماماً لنا،

لقد بعنا الكثير والكثير من مبادئ ديننا، بالتافه التافه القليل من زخارف هذه الحياة الدنيا،

ومن هنا رفع من رفع من المسلمين – وهم كثر – لواء ما يسمى بالدعوة إلى الحداثة، ألا تسمعون هذه الكلمة التي تصكُّ آذانكم؟ مسلمون في الظاهر، منتمون إلى الإسلام، وربما يظهرون الخوف على الإسلام من الخطط التي تتربص به، وهم في الوقت ذاته يدعون إلى مايسمى بالحداثة،

وما الحداثة؟ الحداثة تتلخص بكلمة وجيزة، أن نخلع ربقة الالتزام بضوابط الإسلام وأحكامه، وأن نسيح في رحاب الأهواء والشهوات الغربية التي يمثلها هؤلاء الذي يخططون للكيد لدين الله سبحانه وتعالى.

المثال الثالث: خيانة الله تعالى في عدم تنفيذ شرائع الإسلام.

١-قال الله تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا أنفسهم حرجاً مما قضيت، ويسلموا تسليما. ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليلاً. ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا. وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيما. ولهديناهم صراطاً مستقيما"،

٢-وأثنى على أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عز وجل وثبتوا على الحق وما بدلوا، فقال تعالى: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً"، ما بدلوا في دين الله بشروى، ولو نقيراً، فجئنا نلهث سعياً وراء التبديل.

فماذا كان موقفنا؟

ألا تلاحظون؟ في كل يوم كم نفاجأ بأحكام جديدة تنسخ أحكاماً ثابتة في كتاب الله وسنة رسول الله؟

ألا ترون مثلاً إلى الفتاوى التي تسوّق حسب الطلب؟

ألا ترون مثلاً إلى الظاهرة التي تناقض أمر الله عز وجل وتحذيره من أن نخون هذه القيم وهذه الأحكام، فنبدل ونغير منها؟

المثال الرابع: خيانة الله تعالى في عدم الوفاء بفرائض الإسلام.

١-نهانا الله عز وجل عن أن نخون هذا الدين، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسولَ وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون"،

٢-بل وأمرنا الله سبحانه وتعالى إلى أن نعتزّ بشعائر هذا الدين، وأن نعظم هذه الشعائر، فقال: "ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}، فماذا كان مآلنا مع هذه الشعائر؟

ومن الشعائر التي أمرنا الله بتعظيمها هذه الصلوات الخمس، فأين هي في حياتنا اليومية؟

أين الصلاة في جداول محاضرات جامعاتنا وجداول امتحاناتنا فيها؟

أين الصلاة في جداول حصص مدارسنا؟

أين الصلاة في مواعيد الدوام الرسمي لمؤسساتنا الحكومية؟

أين الصلاة في مصانعنا؟

ومن الشعائر التي أمرنا الله تعالى بتعظيمها الصيام، فأين الصيام في حياتنا؟

هل حقاً نؤديه كما يريد الله تعالى؟

هل اختفت من بيننا مظاهر المجاهرة بالفطر في نهار رمضان ؟

هل أوقفنا فساد وإفساد وسائل الإعلام فيه ؟

وهكذا في سائر الشعائر، هل قمنا بها ووَفَّيناها حقها كما أراد الله تعالى ؟ لقد تحول الكثير من شعائر الإسلام عندنا إلى مادة تجارة، إلى مادة منافسة،

١= كتاب الله تجارة في طباعته، وتجويده: ألا ترون أن كتاب الله سبحانه وتعالى في صدر الإسلام، لم يكن قد غـرق في التأنيق والزخارف، ولم تكن هنالك أيد تتنافس وتتسابق إلى إخراجه مزوّقاً مجمّلاً بأعلى ما يمكن من الزخارف، في مظهره ودخائله وكتاباته، ولكنه كان مطبقاً، كانت أحكامه كلها مطبقة، واليوم ننظر فنجد تنافس الناس على كافة مستوياتهم في إخراج أعلى ما يمكن من مظاهر البذخ والتزويق لكتاب الله سبحانه وتعالى، وننظر فنجد أنها غدت أداةً للتسابق الفني، وننظر فنجد أنه ما من مناسبات تعقد، ما من فرحة تعلن إلا ويكون هذا الكتاب تعبيراً عنها والهدية الرمزية بين يديها، حسناً، لو أن هذا الإعلان كان تحته مضمون رائع جداً، ولكن انظر إلى ما تحت هذا الإعلان، انظر إلى ما تحت هذه الظاهرة؛ هذا الشعار؛ تجد نفسك أمام فراغ، بل تجد هنالك إعراضاً عن مضمون هذا الكتاب الذي يزوق الآن ويتباهى الناس بإخراجه بألوان متنوعة ومختلفة وباذخة من الأشكال المتنوعة،

وفي القراءة للقرآن: روى أحمد في المسند عن زاذان قال: [كنت مع عابس الغفاري على ظهر أجار بالبصرة فرآى الناس يتحملون ليهربوا من الطاعون فقال يا طاعون خذني إليك يا طاعون خذني إليك يا طاعون خذني إليك فقال ابن عم له قد كانت له صحبة لم تتمنى الموت وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [لا يتمنى أحدكم الموت فيكون عند ذلك انقطاع أجله]؟ فقال له عابس: ولم لا أتمنى الموت وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف على أمته من ست ؟ من بيع الحكم، وإمارة السفهاء، وكثرة الشرط، وقطيعة الرحم، واستخفاف بالدم، ونشواً يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل بين أيديهم، ليس بأفقههم، لا يقدمونه إلا ليغنيهم به غناء].

٢=الاستخفاف بالدم.

روى أحمد في المسند عن زاذان قال: [كنت مع عابس الغفاري على ظهر أجار بالبصرة فرآى الناس يتحملون ليهربوا من الطاعون فقال يا طاعون خذني إليك يا طاعون خذني إليك يا طاعون خذني إليك فقال ابن عم له قد كانت له صحبة لم تتمنى الموت وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [لا يتمنى أحدكم الموت فيكون عند ذلك انقطاع أجله]؟ فقال له عابس: و لم لا أتمنى الموت وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف على أمته من ست ؟ من بيع الحكم، وإمارة السفهاء، وكثرة الشرط، وقطيعة الرحم، واستخفاف بالدم، ونشواً يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل بين أيديهم، ليس بأفقههم، لا يقدمونه إلا ليغنيهم به غناء].

ومصداقاً لهذا الحديث فإن الاستخفاف بالدم فعلاً هو الشائع الغالب اليوم في بلدان المسلمين، فالدول الإسلامية اليوم أصبحت لا تحترم آدمية أفرادها، وأنظمة الحكم فيها لا تحفظ حرمة لأفراد شعوبها، فيحدث الاستخفاف بدمائهم، فكيف نبكي على دماء المسلمين التي أُريقت في فلسطين على يد اليهود، ولا نبكي على دماء المسلمين التي أُريقت ومازالت تراق من المسلمين في المعتقلات وغياهب السجون؟ هانت دماء إخواننا علينا، فهانت دماؤنا على أعدائنا،

١-روى أبو داود في سننه عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا].

٢-وروى أبو داود في سننه عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا فَاعْتَبَطَ بِقَتْلِهِ لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا].

٣-وروى أبو داود في سننه عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا[1]، صَالِحًا، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ[2]].

٣= الاستخفاف بالمساجد، قال تعالى: "مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ"،

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: كَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَأَمَرَ عُمَرُ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ أَكِنَّ النَّاسَ مِنْ الْمَطَرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمِّرَ أَوْ تُصَفِّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ.

وَقَالَ أَنَسٌ: يَتَبَاهَوْنَ بِهَا – أي المساجد – ثُمَّ لَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

---

[1] قوله (مُعْنِقًا) مِنْ الْإِعْنَاق، أَيْ خَفِيف الظَّهْر، سَرِيع السَّيْر، يُعْنِق مَشْيه، أَيْ يَسِير سَيْر الْعَنَق، وَسير الْعَنَق ضَرْب مِنْ السَّيْر وَسِيع، يُقَال أَعْنَقَ الرَّجُل فِي سَيْره فَهُوَ مُعْنِق، والمراد: مُسْرِعًا فِي طَاعَته، مُنْبَسِطًا فِي عَمَله.

[2] قوله (بَلَّحَ) يُقَال بَلَّحَ الرَّجُل إِذَا اِنْقَطَعَ مِنْ الْإِعْيَاء، فَلَمْ يَقْدِر أَنْ يَتَحَرَّك، وَقَدْ أَبْلَحَهُ السَّيْر فَانْقَطَعَ بِهِ، يُرِيد وُقُوعه فِي الْهَلَاك بِإِصَابَةِ الدَّم الْحَرَام.

وأكد لنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه لن يأتيَ البلاء إلا مِن قِبَلِ أنفسنا، منا نحن، لا من أعدائنا، روى أحمد في مسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، **وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ**، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا يُسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ].

٤= الاستخفاف بالمحرمات، كالزنا، كما هو الحال في كثير من المؤلفات التي تنشر وتوزع هنا وهناك، اخترق هذه الصور وهذه الظواهر وغُصْ إلى ما تحت ذلك تجد، أن الأمر عبارة عن تجارة، عن تجارة دنيوية بسلعة دينية إلا من رحم ربك، هذه هي الظاهرة التي نراها اليوم، قال تعالى: "إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، والله يعلم وأنتم لا تعلمون".

إن أخشى ما نخشاه اليوم على الإسلام: أن تشرأب إلى السلطة نفوس الدعاة والعاملين في بحرفية في المجال التعليمي التأسيسي للدعوة الإسلامية، فإذا اشتغل الدعاة إلى الله بالعمل السياسي ففي هذا مضار كبرى:

١- أن الدعاة إلى الله إذا اشتغلوا بالعمل السياسي لم يستطيعوا أن يجمعوا بينه وبين العمل الدعوي، ففقدنا بالتالي محترفي العمل الدعوي، تاركين الساحة الدعوية للعمل الارتجالي، وفي هذا تجفيف لمنابع وشرايين جحافل شباب الدعوة الإسلامية

٢- أن الدعاة إذا ما تولوا عضوية المجالس النيابية فإنهم يعرضون أنفسهم للنقد من عامة الناس، وتجرؤ السفهاء عليهم، فعامة الناس لا يعنيهم علو منزلة العالم أو عِظَم شرفه في الدين بقدر ما يهمهم ما سيوفره لهم من خدمات داخل دائرته الانتخابية، وتشجيع الناس على التجرؤ على العلماء الدعاة هو هدر لكرامة الدعاة، وهدم لشرف الدعوة.

ولنا في أبي بكر الصديق يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قدوة وأسوة، في الترفع عن اللهث وراء المناصب السياسية، مع حرصه على القيام بوظيفة الأمر بامعروف، والنهي عن المنكر:

ففي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا [أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بموضع في شمال المدينة يسمى السُّنْحِ، أو الْعَالِيَةِ، فَأصابت عمر حالة ذهول، فقَامَ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال أَبُو بَكْرٍ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَقَالَ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ وَقَالَ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ، فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ. وَاجْتَمَعَتْ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فَقَالُوا مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَتَهُ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ

النَّاسِ فَقَالَ فِي كَلَامِهِ نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لَا وَلَكِنَّا الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا فَبَايِعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فَقَالَ عُمَرُ بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ].

فلا ينبغي للمسلم أن يكون حريصاً على اللشرف والسؤدد، ففي المسند والسنن عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ].

من ناحية أخرى، لا يجوز أن نولي أمورنا إلى مَن هم غير جديرين بمنصب الإمامة والشورى وعضوية المجالس النيابية:

١- ففي المسند وسنن ابن ماجه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: [قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى نَتْرُكُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا؟ قَالَ: الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ].

٢- وفي المسند وسنن ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ. قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ].

٣- وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: [بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ فِي مَجْلِسِهِ حَدِيثًا جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: إِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا تَوَسَّدَ الْأَمْرَ غَيْرُ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ].

أيها الإخوة: أكثر الناس اليوم عبارة عن فريقين:

الفريق الأول: فريق تبرم بالإسلام، يغدو ويصبح بِهمِّ الحداثة وينام على حلم الحداثة، أي التخلص من ضوابط الإسلام القديم، والتقلب في حمأة الحداثة الغربية، هذا فريق.

وفريق ثاني: مسلمون ينادون بالالتزام، لكنك تتأمل وتنظر فتجد أنهم اتخذوا من الإسلام مطية ذلولاً لأهوائهم، لتجاراتهم، لمغانمهم، لأرباحهم، فيغدو الإسلام عندهم أقصر طريق يمكن أن يسلكه الإنسان منهم إلى مغنمٍ مالي، أقصر طريق يمكن أن يسلكه الإنسان منهم إلى رئاسة، أقصر طريق يمكن أن يسلكه الإنسان منهم لكي يصبح مرشداً كبيراً يطوف الناس من حوله بالتعظيم والتبجيل،

وفريق ثالث، قلة من الصادقين، قلة ممن وصفهم الله عز وجل"مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً".

أخي الكريم:

خ م – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [**صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ. فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمَا هُمَا ثَمَّ. ثم قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَه حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي؟ فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ؟ يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي؟ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ؟ فقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمَا هُمَا ثَمَّ**]

وأئمتنا من السلف الصالح اختلفوا في معنى (يَوْم السَّبُع) على عدة معان، أشهرها:

الأول: يوم السبع هو اليوم الذي يهجم الأسد على الراعي والغنم، فيهرب الراعي تاركاً غنمه، فيأكل الأسد منها ما يشاء، ثم ينصرف، فلا يكون لما تبقى منها بعد ذلك راعٍ يرعاها إلا الذئب، هذا ما قاله ابن الجوزي.

الثاني: هو ما يكون عند الفتن، فينشغل الناس عن رعاية أغنامهم، فَتَصِير الْغَنَم هَمَلًا تَنْهَبُهَا السِّبَاع فَيَصِير الذِّئْب كَالرَّاعِي لَهَا لِانْفِرَادِهِ بِهَا.

والراجح حسبما نراه اليوم: أن يوم السبع هو يوم أن يكون ولاة أمورنا أئمةً مضلين، يتركوننا بلا رعاية، يبيعوننا إلى الكفار، ليقودونا حيث شاءوا، فيكون راعي السلام وراعي الدول اليوم هو الذئب، يسبعها، أي يأكلها ويفترسها واحدة تلو الأخرى، قد رتبها السبع في قائمة، اليوم الدولة الفلانية، وغدا دولة أخرى، والسؤال: متى يأتي دورنا؟

هذا كله يحدث وأغلب حكام المسلمين بلا حراك، بل منهم من يوفر الأرض للعدو، ومنهم من يوفر الجو له، ومنهم من يهيئ البحر له، يلبسون مسوح الهداية على أجساد الذئاب، وكأن التاريخ يعيد نفسه مرات ومرات، هذا ما حدث في سقوط إمارات الأندلس الواحدة تلو الأخرى، وسقوط الولايات الإسلامية العثمانية في أيدي الكفار الواحدة تلو الأخرى، وهذا هو نفسه ما حدث في إيران جيت وفي حروب العرب فيما بينهم، وهو ذاته جوهر مشكلة القضية الفلسطينية.

بأيدينا وأيدي أئمةً مضلين نقتل بعضنا بعضا. ففي المسند عن أَبِي ذَرٍّ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [لَغَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَى أُمَّتِي، قَالَهَا ثَلَاثًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا الَّذِي غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: أَئِمَّةً مُضِلِّينَ].

ولذا كان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه الترمذي عن ابْنَ عُمَرَ، قَالَ: [قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، **وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا**].

وهذا آخر ما يَسَّرَ اللهُ جمعه بفضله ورحمته